لم تظمأ الثارات

العيون مترعة بالصديد.. صديد جراح نكسة حزيران ١٩٦٧، والأجفان مشدودة بثقل آلامها..
ويهل نيسان الجلاء... وتشرق شمس معركة الثاني من نيسان الجوية ١٩٧٢.
تلك المعركة لولا أنني عشت ساعات حية معها لقلت ـ مع إيماني اللامحدود بقدرة إنساننا العربي ـ إنها أسطورة..
على هدير طائرات تلك المعركة الخالدة كان ميلاد هذه القصيدة وأنا على مقربة من نقطة مراقبة ورصد.

نيسان هلّ... فهلّت الامجادُ ... نيسان كلُّ عطائه أعيادُ
فالشمس ذهّبتِ الوجودَ، وصاغت ... الدنيا... فجاء كما اشتهى الميلادُ
والزهرُ منسفحُ العبيرِ منمنمٌ ... والغصنُ مزهوٌّ به ميّادُ
أسطورةَ غدتِ الطبيعةُ والرُّبى ... نيسان أنت المنعم الجوّادُ
نيسان!! كلُّ شهورنا حُسّادُهُ ... وتمامُ نعمةِ ربّكِ الحسّادُ
نيسان يا ترفَ الزمانِ وجودَه ... أنت البشير، وجودُكَ الميعادُ
قد شاء ربك أن تكون مكمَّلا ... فإذا الجمالُ رؤاك... والامجادُ

❖❖❖

بالامس سطّرنا الجلاء ملاحماً ... عربيةً... فإذا الجلاءُ جهادُ
لم يحفَل الأحرارُ بالطاغي، ولا ... طغيانِه فتناثر الأنكادُ
وتبعثرتْ قُوّادُهُ مذعورةً ... فجميعُ شعبي في الوغى قُوّادُ
حسِبوا ـ وحُسبانُ الظلوم جهالةٌ ـ ... أنّ العروبةَ بالسياطِ تقادُ
ما قيمةُ الطغيان إن هب الإبا ... ءُ بنا... وراحت تزأرُ الآسادُ!
وطنٌ يُشاد على جماجم أهله ... يُبنى... فلا ذُلٌّ، ولا استعبادُ
الحق فيه هو الأحقُّ، وكيف لا؟! ... ما دام أهلُ الحقِ فيه سادوا

دَلَّ الغـــزاةُ لكبريـــاءِ بنـــي أبـــي ... وهَـوى الدخيـل، وأذعـن الجـلادُ
وانســاح شــعبي يبتنـي أمجـادَه ... أنـى، وكيـف، متـى يشـاءُ تُشـادُ

❖❖❖

نيسـان ملعـب ذكريـاتٍ أسـفرت ... لكـــأنّ ذكـــرك في فمـــي أورادُ
بـالأمس غنيتُ الجـلاءَ ملاحمـي ... واليـوم عـدتَ... فعـادني الإنشـادُ
أطلقتَ شـعري فرحـةً تسـعُ المنـى ... في يـوم مَـن بدمـائهم قـد جـادوا
جـاءت تشـنّ الحـربَ شـذاذُ الـورى ... فـإذا النسـورُ.. نسـورُنا مرصـادُ
ضاقت رحـابُ الأرض عـن عزَماتها ... فـــالجوّ هـــدّارٌ بهـــا.. رَعّـــادُ
فَتكِـرُّ، ثـم تَفِـرُّ، ثـم تشـبّ، ثـم ... .. تغيـب، ثـم تـدُكّ ثـم تعـادُ
تنقـضُّ كـالقدَرِ الرهيـبِ، ومـا لهـا ... إلا دمـــارُ الغـــاصبين مُـــرادُ
تُرغـي، وتُزبـد في حشـاها فِتْيـةٌ ... للحـق تسـمو فيهـمُ الاحقـادُ
قَنَصوا لنا «أسطورة الذعر»[1] التي ... بـــاتت لأمـــر نســـورِنا تَنْقـــادُ
«بَسّـامُ» يـا أمـل الجـدود تحيـةً ... فبمثـل بَأسِـكَ تفخـر الاجـدادُ
أصْليتَهـا لهَـبَ الجحيـم، ومارجـاً ... فـإذا بهـا فـوق الـتراب رمـادُ
مـن أيـن للنـذل الفـرارُ وأرضُنـا ... وسـماؤنا... ونسـورنا رُصّـادُ؟!
عـادت بُغاثـاً طـائرات عدوِّنـا ... فالنسـرُ قنّـاصٌ لهـا... صيّـادُ

❖❖❖

«أموفـقٌ»[2] نلـتَ الجنـانَ وحـورَه ... تزهـــو بكِـــبرِك أمُّـــةٌ وبـــلادُ

---

(١) أسطورة الذعر - الفانتوم التي قنصها الطيار الشهيد بسام حمشو وأسرها ثم قصفها خوفاً من أن تقصف أرض المطار.
(٢) الشهيد الطيار موفق كبب.

وبمثل بَأسِك يا موفقُ يُبتنى ... مجدُ العروبة، والفَخار يشادُ
أنت الذي أحيا الرجاءَ مماتُهُ ... تَفديك - لو نفع الفدى - الاكبادُ
حنّ الخلودُ إلى لقائِك وانتشى ... ويَنالهُ من موتِه استشهادُ

❖❖❖

نيسانُ!! مالي قد ألحَّ بمهجتي ... هَمٌ، وأتعب مقلتَيَّ سهادُ
شِدنا الحياةَ كريمة أعراقُها ... فمحا ضلال الاحمقين رشادُ
لم نستبحْ - والدهرُ ملكُ يميننا - ... حقا... ولا ظلمٌ ولا استبعادُ
واليوم!! يا لَليوم قد عظم الأسى ... وتجمعتْ في قدسنا الاوغادُ
الحقد دينُهمو... وإفسادُ الورى ... هيهات... ما ملكَ الزمانَ فسادُ!
يا ليت شعري... والحياءُ يذيبني ... هل يستوي الإصلاحُ والإفسادُ؟!
إن كان يروي حقدَهم سيلُ الدِّما ... لهف الحياء.. أتقصَفُ الاولادُ[1]!
زُغْبٌ كثَغر الورد بسمتُهم قَضَوْا ... غدراً... فعمّ العالمين حدادُ
هذا لَعمْري منتهى الغدر اللئيـ ... ـم... وما عليه نُشِّئوا، واعتادوا

❖❖❖

في مصر يحتدمُ الكفاحُ كفاحُنا ... وتعيش بارقةَ الاسى بغدادُ
وجراحُ عمّانٍ شغلنَ جوارحي ... يا ليت روحي للجراح ضِمادُ[2]
والشام!! يا للشام جُنَّ إباؤها ... وتكسرتْ بشآمنا الاصفادُ
وجنودُ ربّك في البطاح شِعارُهم ... البذلُ دينٌ... والعقيدة زادُ[3]

---

(١) حادثة قصف مدرسة أطفال بحر البقر في مصر.
(٢) إشارة إلى أيلول الأسود.
(٣) إشارة إلى انطلاقة العمل الفدائي.

وعلى ذُرى القدسِ الأبيّة ينتخي ... معنى الفداءِ فتنتشي الأنجادُ
يتقصّفُ الباغون في ثاراتِنا ... فهمو بيمنى شعبنا أعوادُ
لا بدَّ أن تلدَ الصباحَ جراحُنا ... ويَعُمَّ بعد شقائنا الإسعادُ
والعابثون بحقِّ شعبي في غدٍ ... غدُهمْ... فلا صنمٌ ولا أسيادُ
قومي!! وما التاريخ لولا هديُهم ... أبداً... فليس لفضلهم أندادُ
ما راعنا عصْفُ الخطوب، وإنما ... كبرَ الحدودِ توارث الأحفادُ
فلنا طريفُ فَخارهم، وتليدُه ... ويزيد في عِظَم الطريف تِلادُ
فاليعربيُّ البذلُ من عاداتهِ ... يومَ الوغى... والمرء ما يعتادُ
لم تظمأ الثارات إلا وارتوت ... بجهادنا.. فلها بنا إمدادُ
ما هزت النكبات شعباً همُّه ... يومَ الوغى نصرٌ، أو استشهادُ

❖❖❖

اليوم يا نيسانُ ذكرُك هزّنا ... فكأنه لعروبتي ميلادُ
وغداً ترانا وَحدةً عربيةً ... لجلالها أيامُنا أعيادُ
وغداً بمسجد قدسنا تكبيرُنا ... وصدى الأذانِ يزفه العُبّادُ
لا تُنبتُ الغارَ الحقولُ لنصرنا ... الغارُ عندي ما نماه زنادُ

❖❖❖

وطني... وأزهرتِ الحروفُ وأثمرتْ ... في حبه... واستعذبِ الانشادُ
فلأنت أغنيتي... وأنتَ ملاحمي ... ولأنت في قلب الفؤاد فؤادُ
أفدي بملك الدهر حرفاً مخلصاً ... فيه تذوب النفسُ والأكبادُ
إن لم يسعْ معناه حرفٌ فليْمتْ ... فالحرف عندي ثورةٌ وجهادُ